

\* Abderrahim Benhadda | عبد الرحيم بنحادة

# حصيلة البحث في حقل الدراسات العثمانية والإيرانية في المغرب

## Research Findings in Ottoman and Iranian Studies in Morocco

تسعى هذه الدراسة لرصد الحصيلة البحثية في مجال جديد في حقل الدراسات التاريخية المغربية، يتعلق بالدراسات العثمانية والإيرانية. فقد اهتم الباحثون في الجامعات المشرقية بالفترة العثمانية باعتبارها جزءاً من تاريخ بلدانهم، بحكم خصوصيتها للسيطرة العثمانية مدة ناهزت أربعة قرون، بيد أن تناول هذه الحقبة طغى عليه التوتر، ومن ثم الأحكام القيمية الصادرة بحق العثمانيين. وقد كان عرب المشرق ضحية لتعامل الدولة في العالم العربي مع الإرث العثماني من جهة، وضحية استهلاك الكتابات الأوروبية التي تعود إلى عشرينيات القرن الماضي وثلاثينياته، والتي سعت لأسباب غنية عن البيان للنيل من الدولة العثمانية من جهة أخرى. وفي المغرب، وهي بلاد كان الحضور العثماني فيها متارجحاً بين الحكم المباشر و"الاستقلال الذاتي"، تجاهل المؤرخون إلى حد بعيد تاريخ الحضور العثماني، ونظروا إلى تاريخ الحقبة العثمانية بمعرض عن إثارة الموضوع إلا على نحو هامشي، أو في إطار استحضار بطولات محلية، مثلما هو الأمر بالنسبة إلى الكتابات المنجزة عن خير الدين باريروسا في الجزائر، أو عن خير الدين التونسي في تونس، وربما كان التوتر في التعامل مع المرحلة الفرنسية يُؤوض عن توفر محتمل في التعامل مع المرحلة العثمانية. وسواء بالنسبة إلى المشرق العربي أم إلى المغرب الخاضع للدولة العثمانية، فقد جرى تضييع فرصة كبيرة للكشف عن تاريخ هذه المرحلة من جانب عدة، سياسية واقتصادية وثقافية، بحكم ما يزخر به الأرشيف العثماني من وثائق وسجلات تُسعف في تطوير الدراسات التاريخية في هذه البلدان. أما في المغرب، فيبدو أن من المقبول إلى حد ما غياب الدراسات العثمانية عن خريطة البحث التاريخي الجامعي أو غير الجامعي، لأسباب تتعلق بخصوصية التاريخ المغربي. لقد كان الموضوع الذي استرعى انتبا乎 الباحثين هو العلاقات المغربية - العثمانية، الذي كان موضوعاً مشرقاً وأوروبياً بامتياز في سبعينيات القرن العشرين، لكنه غداً موضوعاً مثيراً للاهتمام بالنسبة إلى الباحثين المغاربة، وكان هذا الموضوع فاتحة اهتمام مغربي بحقل الدراسات العثمانية، ولا سيما بعد إحداث وحدة لتكوين والبحث "المغرب والعالم العربي الإسلامي 1500-1900" في جامعة محمد الخامس.

تحاول هذه الدراسة أيضاً رصد المراحل التي تمأسس فيها هذا الحقل الجديد، والتعرّيف بمختلف الأبحاث التي أنجزت في إطار البنية الجديدة في الدراسات العثمانية والإيرانية على مستويات عدّة. وتحاول أيضاً أن تتوقف عند الجدوى من البحث في الدراسات العثمانية والإيرانية.

\* أستاذ التاريخ في معهد الدوحة للدراسات العليا.

تبغى الإشارة في البداية إلى أن هذه الدراسة تتعلق من النتائج التي انتهت إليها الزميل والصديق الراحل عبد الرحمن المودن، حيث سبق له أن قدّم بحثاً في الموضوع، في عام 2004، وذلك في ندوة نظمها فريق "المتوسط والعالم الإسلامي" ومختبر "دراسات مغاربية" في تونس عن الكتابة التاريخية في المغرب، نُشرت أعمالها في السنة الموالية، تحت عنوان "نشوء حقل جديد في الكتابة التاريخية المغربية". وكان هذا العرض "عبارة عن انتطباعات شخصية مبنية على تجربة ممتدة على عدة سنوات، وعلى حوارات مع الطلبة وبقية الزملاء حول أداء وحدة التكوين والبحث<sup>(1)</sup>". ورصد المودن في بحثه الشروط التي أحاطت بناء هذا الحقل الجديد، وبين الأهداف التي سطّرت له، وأنهاء بالتعرض للمعوقات التي حالت في نظره دون بلوغ ما كان مرجواً من نتائج.

أعود إلى هذا الموضوع لسبعين: يتعلق الأول بمرور أكثر من 15 عاماً على إنجاز هذا البحث، ويرتبط الثاني بالرغبة في تقديم حصيلة ما أُنجز في هذا الحقل الباحثي وتجاوز "النظرة الانطباعية" التي حكمتها الشروط التي كتب فيها المودن بحثه. وسيتناول هذا العرض التطورات التي عرفها حقل الدراسات العثمانية والإيرانية، إن على مستوى الدرس، أو على مستوى البحث في المبحث الأول، وال حصيلة العلمية في المبحث الثاني، ثم بعض الخلاصات.

## أولاً: المرحلة الجينية

على الرغم من كون الدولة العثمانية وتاريخ المشرق العربي يشكّلان أساساً في الدرس الجامعي في المغرب منذ نشوء الجامعة المغربية<sup>(2)</sup>، فإن الاهتمام بهذه المجالات لم يكن من أولوية الباحثين في تاريخ المغرب من المغاربة، ولم يكن موضوع العلاقات المغربية - العثمانية مثلاً يستوقف الباحثين إلا في إطار الربط بالأحداث المحلية. وكان هذا الموضوع من اختصاص بعض الباحثين المشارقة، من أمثال حسن إبراهيم شحاته، والباحثين الفرنسيين، من أمثال شانتال دولا فيرون وبيير برتلي. واقتصرت أعمال الباحثين المغاربة على بعض الأبحاث المنشورة هنا وهناك<sup>(3)</sup>.

مع النصف الثاني من القرن العشرين، عرف البحث التاريخي المتعلق بالعلاقات المغربية - العثمانية انتعاشًا تجلّى في إنجاز بعض الأطروحات التي كانت انطلاقتها مع الراحل قدور بوزيانى الذي تناول موضوع العلاقات بين باشوية الجزائر والمغرب خلال القرن السابع عشر، وفي الوقت نفسه، كان عبد الحفيظ الطبالي قد انتطلق في مشروع عن كتابة تاريخ العلاقات المغربية - العثمانية في القرن السادس عشر<sup>(4)</sup>، مسجلاً فيه افتتاحاً أولياً على الأرشيف العثماني. وما لبث هذا التوجّه أن تكرّس مع الأبحاث والأطروحات التي أُنجزها كل من عبد الرحمن المودن عن "الباشا والشريف: دراسة في الثقافة الدبلوماسية"<sup>(5)</sup>، وعبد الرحيم بنحادة عن

1 Abderrahmane El Moudden, "Emergence d'un nouvel objet de recherche au Maroc: Les études turco-iraniennes," in: Abderrahmane El Moudden, Abdelhamid Henia & Abderrahim Benhadda (eds.), *Ecriture de l'Histoire du Maghreb: Identité, mémoire et historiographie*, Série Colloques et séminaires 138 (Rabat: Publications de la Faculté des Lettres et des Sciences Humaines, 2007), pp. 123-134.

2 عبد الرحيم بنحادة، "في تحقيب تدريس التاريخ في الجامعة المغربية"، أسطور، 3، العدد 5 (كانون الثاني / يناير 2017)، ص 340-351.

3 أجري العديد من الأبحاث عن العلاقات المغربية - العثمانية، مثلما هو شأن بالنسبة إلى الدراسة التي أُنجزها عبد القادر زمامنة عن نص رحلة التمكروتي إلى القسطنطينية؛ ومحمد مزين في دراسة له عن الخطاب في العلاقات المغربية - العثمانية الذي نشر في المجلة التاريخية المغربية، وفي كتاب عن العلاقات المصرية - المغربية (بالاشتراك مع يونان لبيب رزق)، ينظر: عبد القادر زمامنة، "مع أبي الحسن التمكروتي في رحلته إلى القسطنطينية"، *المناهل*، العدد 25 (1982)، ص 221-236؛ محمد مزين، "الخطاب التاريخي في العلاقات المغربية - العثمانية"، *المجلة التاريخية المغربية*، العدد 36-35 (1984)؛ محمد مزين ويونان لبيب رزق، *العلاقات المغربية - المصرية من مطلع العصر الحديث إلى سنة 1912* (دار النشر المغربية، 1982).

4 عبد الحفيظ الطبالي، "العلاقات المغربية - العثمانية خلال القرن السادس عشر"، رسالة أُنْذِت ليل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1989.

5 Abderrahmane El Moudden, *Sharif and Padishah, Moroccan-Ottoman Relations from the 16th Through the 18th Centuries: Contribution to the Study of a Diplomatic Culture* (Princeton: Princeton University Press, 1992).

"المغرب والباب العالي من منتصف القرن السادس عشر إلى نهاية القرن الثامن عشر"<sup>(6)</sup>، وخدیجة بونیت<sup>(7)</sup> عن "العلاقات بين المغرب والدولة العثمانية في النصف الثاني من القرن الثامن عشر". وقد سعت هذه الأطروحات لتجاوز النظرة الضيقية لتاريخ العلاقات المغربية - العثمانية وصورتها النمطية القائمة على أساس "الخطر العثماني"، وفتحت هذه العلاقات على وضعها المتوسطي، وهناك من سعى لدراستها في إطار شبكة العلاقات المتوسطية الإسلامية، وسعى بعض آخر لاستحضار الثقافة الدبلوماسية مفتاحاً لقراءة هذه العلاقات. ولعل هذه الدراسات كلها كانت واعية بأهمية الأرشيف العثماني والنصوص العثمانية.

على مستوى آخر، كان مصطفى الغاشي يُحضر رسالة لا ترتبط مباشرة بالعلاقات المغربية - العثمانية، بل بالرحلة الفرنسيين في الدولة العثمانية<sup>(8)</sup>، حيث قام بعملية استقراء واسعة لكتب الرحلات الفرنسية وأبرز دورها في كتابة تاريخ الدولة العثمانية خلال الفترة الممتدة بين القرن السادس عشر ونهاية القرن الثامن عشر.

ومن خلال استعراض هذه الأبحاث، يمكن أن نسجل ما يلي من الملاحظات:

**الملاحظة الأولى**، أنها كانت تسير وفق برامج بحثية خاصة ومختلفة تتطرق من خلفيات علمية فردية.

**الملاحظة الثانية**، الوعي بضرورة الاعتماد على الأرشيفات العثمانية التركية باعتبارها السبيل الوحيد لتجاوز خنادق المعلومات المتعلقة بهذه العلاقات.

**الملاحظة الثالثة**، لم تهتم هذه الدراسات باستحضار التطورات العميقة التي كانت تعرفها الدولة العثمانية إلا لاماً. فقد كانت المعرفة بالدولة العثمانية انطباعية جداً، وكانت زاوية النظر مغربية بامتياز؛ إذ تحضر في الكثير من الأحيان التحوّلات السياسية في المغرب في تفسير تطورات العلاقات المغربية - العثمانية بالنسبة إلى الأطروحات التي تناولت تاريخ هذه العلاقات والتطورات السياسية في فرنسا بالنسبة إلى أطروحة مصطفى الغاشي.

## ثانياً: مؤسسة البحث في الدراسات العثمانية والإيرانية

### 1. التكوين في الدراسات العليا

في عام 1997، تبنت وزارة التعليم العالي والبحث العلمي في إطار إصلاح نظام الدراسات العليا (السلك الثالث) اعتماد نظام وحدات البحث والتكوين الذي يقوم على أساس التدريس في ستينات دراسيتين للحصول على دبلوم الدراسات العليا المعمقة. وقد عرفت الدراسات التاريخية في كلية الآداب في الرباط إحداث خمس وحدات في التاريخ، عكست التوجهات البحثية في هذه الكلية، وهذه الوحدات هي: تاريخ شمال أفريقيا القديم، والمغرب وأوروبا، والمجتمع والدولة في المغرب الوسيط، والمغرب والإسلامي 1500-1900، والمغرب والعالم المعاصر (التي تحولت إلى دراسات مغاربية معاصرة). وقد ساهمت هذه الوحدات في تكوين مجموعة من الباحثين في المجالات الخمسة، إلا أن معظمها توقف عن التكوين لأسباب تراوح بين مغادرة الأساتذة المؤطرين للكلية، وأخرى تتعلق بعد وفاة الجامعية بالتزاماتها تجاه هذه الوحدات من حيث التأثير المادي<sup>(9)</sup>.

<sup>6</sup> عبد الرحيم بنخادة، المغرب والباب العالي من منتصف القرن السادس عشر إلى نهاية القرن الثامن عشر (زغوان، تونس: مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، 1998).

<sup>7</sup> Khadija Bounite, "Contribution à l'étude des relations maroco-ottomanes durant la seconde moitié du XVIII<sup>e</sup> siècle: Tentative et déroulement d'une coopération entre Fès et Istanbul," Thèse de doctorat en Histoire, Université Paris 1, 1995.

<sup>8</sup> Mustapha Ghachi, "Les voyageurs français et l'empire ottoman," Thèse de doctorat de 3<sup>ème</sup> cycle, Université de Pau et des pays de l'Adour, 1994.

<sup>9</sup> عرض عبد الرحمن المودن معوقات أدت إلى تعليق معظم الوحدات الجادة، ومن بين هذه المعوقات ما هو مادي وما هو لوجيسي.

وقد تميزت من بين هذه الوحدات كلها وحدة المغرب والعالم العربي الإسلامي 1500-1900، ويمكن أن نرصد هذا التميز على المستويات التالية:

**أولاً**، الاستمرارية، فمنذ إحداثها في عام 1997 ومبادرتها التكوين في عام 1998، لم تتوقف إلا في عام 2014. واستمرت تحت مسميات مختلفة، واستطاعت أن تتحول إلى فريق بحثي بامتياز من خلال الانخراط في مشاريع بحثية وطنية ودولية، وأن تُعَدِّي الإنتاج التاريخي المغربي في مستويات متعددة.

**ثانياً**، جمعت الباحثين جميعهم الذين اشتغلوا في تاريخ العلاقات المغاربية - العثمانية والمشرق العربي<sup>(10)</sup>، واستدرجت آخرين في مجالات أخرى<sup>(11)</sup>. وقد ساهم هؤلاء جميعهم إلى حد بعيد في التدريس والتأطير والإشراف على مجموعة من المشاريع البحثية في ما بعد.

**ثالثاً**، المواد التي كانت تدرس على مستوى دبلوم الدراسات العليا المعمقة، حيث جرى التركيز في السنة الأولى على تاريخ الدولة العثمانية من التأسيس إلى القرن الثامن عشر، وتاريخ إيران الصفوية، وتاريخ المغرب في العهد العثماني، والإستوغرافيات الإسلامية. وشمل التدريس في السنة الثانية مواد من الدولة العثمانية إلى الجمهورية، وإيران بين القاجار والجمهورية وتاريخ المدن العربية الإسلامية في العصر الحديث.

**رابعاً**، إضافة إلى هذه المواد، جرى التركيز على تدريس اللغتين الفارسية والتركية، باعتبارهما أداتين لا مناص من تعليمهما بالنسبة إلى المشغل على المجتمعات الشرقية الإسلامية. وفي هذا الباب، لا بد من التنوية بالمساعدات التي قدمها العديد من الجامعات التركية ومؤسسة الوقف الإسلامي في استقبال عدد من طلابنا لتعلم اللغة التركية والعثمانية. وقد تُوج ما بُذل من مجهد في هذا الباب بإحداث معهد يونس إمراه Yunus Emre Enstitüsü إمره Yunus Emre Enstitüsü في الرباط منذ عام 2012.

**خامسًا**، جرت الاستفادة من خبرات الباحثين من داخل المغرب وخارجها في إطار حلقة تدريسية، تحت عنوان "تجارب في البحث"، وفي إطارها جرت استضافة أسماء وازنة في التاريخ المغربي والعثماني، من أمثال كارل براون Karl Brown وجان لويس باكي كرامون Jean Louis Bequué Grammont وجمال كفرن Cemal Kafadar وأوديل مورو Odile Moreau وفريديريك هيتنز Tufan Bozpinar وكوروكى هيدمتسو Koruki Hedimitsu وزكريا كورسون Zakaria Kursun وتوفان بوزينار Frederic Hitzel وعزمي أوزجان Ozcan وكاسو موريموتو Kasuo Morimoto وعبد الرحيم أبو حسين ومسعود ضاهر ومحمد عفيفي وغيرهم.

انتبه فريق البحث عندما كان يعمل على تقييم أداء الوحدة إلى مجموعة من القضايا:

الأولى، تتعلق بمسألة الحيز الجغرافي الذي كانت تتناوله الوحدة، ورأى أن توسيع الدائرة وفتح المجالات المغاربية والإسلامية على العالم المتوسطي سيسعف، من دون شك، في مقاربة أفضل. ولا يسمح هذا التوسيع بتتجديد المقاربات فحسب، بل يُسهم أيضاً في تجاوز ما يمكن تسميته "المركزية المغربية" Marococentrisme التي تجعل من المغرب المبدأ والمتنهى.

الثانية، تتعلق بالحيز الزمني الذي تتناوله، فقد جرت العادة عند المؤرخين إلا يتعرّضوا للقضايا التي لم يجر الكشف رسميًّا عن وثائقها، ولما كان التوجّه في بداية العقد الأول من الألفية الثالثة يطرح إمكانية طرح ما هو راهن، فقد كان من الضروري إعادة النظر في المحددات الزمنية.

10 يتعلق الأمر بعد الرحمن المودن وعبد الرحيم بنحادة وعبد الحفيظ الطبالي ومصطفى الغاشي وعثمان بناني وفاطمة الزهراء طموح.

11 يتعلق الأمر بعد الأحد السبتي وميحة المغارى وأسية بنعداده.

الثالثة، توسيع الاستفادة من الخبرات، وفي هذا الباب جرى إدماج حلقة نقاشية جديدة، إضافة إلى تجارب في البحث، وهي مسارات في البحث حُصّنَت لعرض مسارات باحثين، ليس في حقل الدراسات التاريخية فحسب، لكن أيضًا في مجالات بحثية أخرى، مثل الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع والعلوم السياسية.

بناء على هذا التقديم، قدم فريق التكوين طلب اعتماد لوحدة أخرى توسيع دائرة المجال وتسعى لوضع تاريخ المغرب وتاريخ الدولة العثمانية ضمن سياقه المتوسطي، وفي زمن أوسع يأخذ في الحسبان التحولات التي عرفتها الكتابة التاريخية، ولا سيما إدماج ما يسمى بتاريخ الزمن الراهن. وقد استمر العمل بهذه الوحدة حتى عام 2008، عندما قدم الفريق اعتماداً يميل إلى تعميق البحث في موضوع يخص "المجتمعات الإسلامية والحداثة".

في إطار هذه الوحدات التكوينية الثلاث، وعلى مدى ما يزيد على عقد ونصف العقد من الزمن، تخرج بدرجة الماجستير ما يربو على 60 طالبًا باحثًا، بعضهم واصل الدراسة للحصول على درجة الدكتوراه في جامعة محمد الخامس، وبعضهم في جامعات أخرى، مثل تطوان وفاس ومكناس، وانشغل بعضهم عن البحث بالتدريس في التعليم الثانوي، وآخرن عن الأنظار.

لم يكتفى الفريق بمهمات التكوين في الدراسات العليا فحسب، بل عمل على "الاستثمار" في البحث، فقد كان يرى أن التكوين لا يمكن أن يجري سوى في إطار البحث، وأن تطوير التكوين رهين بتطوير البحث. وفي هذا الباب، عمل الفريق على عقد ندوات، حتى قبل بُنْيَة البحث في الجامعة المغربية، وعلى تنظيم ندوات في إطار ما كان يتوجه التعاون بين كلية الآداب والعلوم الإنسانية في الرباط ومؤسسة كونراد أديناور، وفي هذا الباب نظم الندوات التالية بين عامي 2002 و2005:

- ✿ "العثمانيون والعالم المتوسطي: مقاربات جديدة"<sup>(12)</sup> (2002)، دُعي إليها عدد من الباحثين الأتراك والمغاربيين والأوروبيين، ونشرت أعمالها بعد سنة من ذلك.

- ✿ "السفر في العالم العربي الإسلامي: التواصل والحداثة"<sup>(13)</sup> (2003)، وأُهديت أعمالها المنشورة في عام 2004 إلى واحد من مؤسسي وحدة التكوين والبحث "المغرب والعالم العربي الإسلامي" عثمان بناني.

- ✿ "المغرب في العهد العثماني بين الأرشيفات المحلية والمتوسطية"<sup>(14)</sup> (2004)، ونشرت في العام الموالي (2005). مكنت هذه الندوات من التعريف بوحدة البحث والتقويم "المغرب والعالم العربي الإسلامي" وطنياً ودولياً. وعقد الفريق شراكات مع جهات علمية عدة، من بينها جهات دولية، وأنجح تلك التجارب على الإطلاق التي ارتبط فيها الفريق مع مختبر دراسات مغاربية في جامعة و أفريل، حيث نُظمت في هذا الإطار فعاليات عدّة:

شملت الأولى منها العمل على مشاريع بحثية، وانخرط الفريق في مشاريع التعاون العلمي بين المغرب وتونس. وهذه المشاريع هي:

- ✿ "الكتابية التاريخية في المغرب: الهوية والذاكرة والإستوغرافيا" Ecriture de l'Histoire du Maghreb: Identité, mémoire et historiographie.

- ✿ "شبكات التواصل في المغرب والعالم المتوسطي".
- ✿ "الرحلة والغيرية".

12 عبد الرحمن المودن وعبد الرحيم بنحادة، العثمانيون والعالم المتوسطي: مقاربات جديدة (الرباط: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 2003).

13 عبد الرحمن المودن وعبد الرحيم بنحادة، السفر في العالم العربي الإسلامي: التواصل والحداثة (الرباط: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 2004).

14 عبد الرحمن المودن وعبد الرحيم بنحادة، العثمانيون في المغرب من خلال الأرشيفات المحلية والمتوسطية (الرباط: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 2005).

✿ "المعرفة الطبية وتاريخ الأمراض في المغرب والعالم المتوسطي".

وقد نُظمت موائد مستديرة في تونس والمغرب، كانت عبارة عن مخرجات البحث في هذه المشاريع، ففي إطار المشروع الأول، نُظمت ندوتان: الأولى حول "الكتابة التاريخية في المغرب: الهوية والذاكرة والإستوغرافيا" (2004)، نشرت أعمالها في عام 2005. الثانية حول "التحقيق في الكتابة التاريخية"، في عام 2005، نشرت أعمالها ضمن منشورات مخبر دراسات في عام 2007.

أما الفعالية الثانية، فقد تم خصّ عنها تنظيم مائتين مستديرين، الأولى حول انتقال الأفكار والتكنيات في المغرب والعالم المتوسطي (2005)، والثانية عن شبكات التواصل في المغرب والعالم المتوسطي (2007).

وتمّ خصّ عن الفعالية الثالثة تنظيم ورشة عن "الرحلة والغريبة" (2008).

أما الفعالية الرابعة، فقد نتج منها نشر كتاب **المعرفة الطبية وتاريخ الأمراض في المغرب**. وقد وضعت الاحتياطات المنهجية كلها في المقدمة التي خصّتها للوقوف عند المفاهيم والمقاربات التي استعملتها تحت عنوان المشروع نفسه في إطار تعاون ثلاثي بين الفريق ومخبر تونس ومؤسسة الملك عبد العزيز للدراسات الإسلامية في الدار البيضاء (2011).

لم يكتفِ الفريق بالتعاون مع الجامعة التونسية، بل تمكّن من توسيع دائرة هذا التعاون عن طريق ربط شراكات مع المدرسة العليا للعلوم الاجتماعية في باريس وجامعة طوكيو للدراسات الأجنبية<sup>(15)</sup>، ولعل الأهم من ذلك هو الشراكات مع الجامعات التركية، وفي هذا الإطار ارتبط الفريق مع جامعة ساقاريا وجامعة إسطنبول ومركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية (إريسيكا) IRCICA في إسطنبول.

كان من شأن التعاون الدولي أن يفتح آفاقاً لحركة الطلاب والباحثين، ولا سيما أنهم يشتغلون في مجالات جغرافية غير المغرب. فمن جهة، شاركوا في جامعات صيفية مختلفة في تونس أو في تركيا، ومن جهة أخرى حصلوا على إقامات علمية مكتّملاً من الاحتكاك بمجتمعات مجال الاشتغال والاستفادة من أرشيفات ومكتبات البلدان التي زاروها في إطار هذا التعاون في أفق التحضير لأطروحاتهم وأبحاثهم.

حصل معظم الطلاب المسجلين في وحدتي الدكتوراه "المغرب والعالم العربي الإسلامي 1500-1900" و"المتوسط والعالم الإسلامي 1500-2000"، على إقامات بحثية. ويبعد أن هذه الإقامات كانت مثمرة. وفي ما يلي قائمة بالبلدان التي زارها باحثو الودتين:

✿ إيران: كُرّست هذه الزيارة لتمتين اللغة الفارسية، حيث ثُوّجت عند بعضهم بالحصول على شهادة في اللغة الفارسية (حالة ليلي مبارك في صيف 2007، وعبد الصمد الأشهب في عام 2005)، وتوّجها بعض آخر بالحصول على العديد من المراجع باللغة الفارسية التي استثمرت في بحث يتعلق بالعلاقات بين الصوفيين والعثمانيين. ولا بد من الإشارة هنا إلى أن هذه الزيارات، على الرغم من أنها جرت في مرحلة هدوء في العلاقات المغربية - الإيرانية، عانى الطلاب فيها مضايقات اكتست مسوحاً بيروقراطية.

✿ تركيا: راوحـت الإقامـات العلمـية في تركـيا بينـ المـشارـكة في درـوس اللـغـة التركـية والـعـلـمانـية منـ جـهـةـ، والـعـملـ فيـ الأـرـشـيفـ العـلـمـانيـ منـ جـهـةـ ثـانـيةـ، والـاستـفـادـةـ منـ الرـصـيدـ المـكـتبـيـ<sup>(16)</sup> فيـ الجـامـعـاتـ التركـيةـ وـالـمـؤـسـسـاتـ الـبـحـثـيـةـ التركـيةـ، مثلـ وـقـفـ الـدـيـانـةـ Diyanetـ وـمـرـكـزـ الـأـبـحـاثـ لـلـتـارـيخـ وـالـفـنـونـ وـالـقـاـفـةـ إـلـيـسيـكاـ منـ جـهـةـ ثـالـثـةـ.

<sup>15</sup> اشتغل العديد من الطلاب في الفترة 2005-2007 حول مشروع رقمنة قاموس الأعلام لشمس الدين سامي فرنانسي، بإشراف عبد الرحيم بنخادة وكوروكي هيدمتسو وまさكو ماتسو Masako Matsui، وقد مكّنهم هذا الاشتغال من الوقوف على ترجمة العديد من أعمال الثقافة العثمانية، ومكتّملاً بذلك، وهذا هو الأساس، من الاحتكاك بوحدة من أهم النصوص العثمانية في نهاية القرن التاسع عشر.

<sup>16</sup> عندما وجدت ليلي مبارك صعوبات كبيرة في الحصول على نسخ من المراجع في إيران، في زيارة لها في عام 2007، حملت حقائبها مرة أخرى إلى تركيا في آب / أغسطس 2008 لتتمكن من الاستفادة من الرصيد المكتبي في مؤسسة Islam Ansiklopedisi Aristitirma Merkezi، ISAM.

✿ فرنسا: حيث كرس العديد من الباحثين جهودهم في هذه الإقامات العلمية على الاشتغال بالأرشيف الدبلوماسي في نانت والتنقيب عن الوثائق المتعلقة بالدولة العثمانية، ولا سيما تلك المتعلقة بعلاقات فرنسا بولايات الشمال الأفريقي، ثم الوثائق التي تخص الإصلاحات التي باشرتها الدولة، والممندرجة ضمن أرشيف البريد Archives des postes<sup>(17)</sup> التي تغطي الفترة الممتدة بين القرنين الثامن عشر ومطلع القرن العشرين.

✿ تونس: مكّنتنا هذه العمليات المندرجة في إطار برنامج التعاون التونسي - المغربي CMPTM من استفادة العديد من الطلاب من السفر إلى تونس من أجل إقامات علمية جمعت بين التكوين والبحث، فمن جهة حضر هؤلاء الطلاب السيمinars التي كان يعقدها مخبر "دراسات مغاربية" وقدّموا عروضاً في إطارها<sup>(18)</sup>، ومن جهة أخرى استفادوا من هذه الإقامات للكشف عن الأرصدة الوثائقية المتعلقة بالدولة العثمانية في الأرشيف التونسي.

وفي إطار المؤسسة أيضاً، أحدثت بنية جديدة ساهمت إلى حد بعيد في تطوير العمل خارج أسوار الجامعة، حيث أحدث فريق البحث جمعية الدراسات التركية - الإيرانية في شباط / فبراير 2006، وقدّضت الجمعية في الأساس لتشييط البحث في تاريخ البلدان العربية وتركيا وإيران، باعتبارها مجالات متشابهة وتلتقي في المشترك الحضاري، وذلك بغية تكوين خبرة مغاربية في هذه المجالات. وقد شرعت هذه الجمعية منذ أيار / مايو 2006 في تنظيم فعاليات ثقافية وعلمية، كان أولها في 30 أيار / مايو 2006 بمناسبة ذكرى فتح القدسية.

## 2. الدليلة

لا بد من التأكيد في البداية أن وحدة البحث والتكونين "المغرب والعالم العربي الإسلامي 1500-1900"<sup>(19)</sup> احتضنت في البداية مجموعة من الأطروحات التي لم يتابع معدوها الدراسة في الوحدة نفسها في الدراسات العليا، وسجل فيها العديد من الطلاب من الحاصلين على دبلوم الدراسات العليا في النظام القديم<sup>(20)</sup>. ومن بين الأطروحات التي استأثرت بالانتباه وتدخل في صلب تخصص الدراسات العثمانية، أطروحة قدمها محمد الحيم عن "الجيش الدخيل في الدول الإسلامية: جيش العبيد والإنشارية العثمانية، محاولة في المقارنة"<sup>(21)</sup>. أما ثاني هذه الأطروحات، فتلك التي قدمها محمد الخداري في موضوع "دور الزوايا والطرق الصوفية في العلاقات بين المغرب وولاية الجزائر: حالة الزاوية الدرقاوية من 1786 إلى 1823"<sup>(22)</sup>. كانت هاتان الأطروحتان باكرة التكونين والبحث في هذا الحقل الجديد. وإذا كانت الأولى قد اعتمدت مقاربة المقارنة بين تجربتين لمعالجة واحدة من أهم المشكلات البنوية التي واجهتها الدول في البلاد الإسلامية، فإن الثانية تميل إلى مقاربة موضوع العلاقات بين المغرب وباشوية الجزائر العثمانية انطلاقاً من الدور الذي قامت به الزوايا في هذه العلاقات، بعيداً عن رصد التطورات السياسية والمواجهات العسكرية.

17 يتعلّق الأمر ببعثة قام بها محمد العواد في عام 2017.

18 قدم عبد الحي الخليفي مثلاً عرضاً بعنوان "تصورات النخب المغربية والعثمانية لأزمة السلطة من خلال أدب النصيحة خلال شهر دجنبر 2005". وقدّمت وفاة المصمودي عرضاً في موضوع "الأسرى الأجانب في المغرب خلال القرن السابع عشر".

19 جرى وضع حد لهذا النظام في عام 1997، وأعطيت مهلة للطلاب المسلمين فيه حتى 31 كانون الأول / ديسمبر وهو آخر أجل لمناقشة رسائلهم. ينظر: عبد الرحيم بناحادة، "حصيلة البحث في تاريخ المغرب في الصور الحديثة"، في: عبد الرحمن المودن وعبد الرحيم بناحادة وعبد الحميد هنية (تنسيق)، الكتابة التاريخية في المغرب: الهوية والذاكرة والإسطغافية (الرباط: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 2007).

20 محمد الحيم، "الجيش الدخيل في الدول الإسلامية: جيش العبيد والإنشارية العثمانية، محاولة في المقارنة"، أطروحة أعدت لنيل درجة الدكتوراه الوطنية في التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 2002.

21 محمد الخداري، "دور الزوايا والطرق الصوفية في العلاقات بين المغرب وولاية الجزائر: حالة الزاوية الدرقاوية من 1786 إلى 1823"، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 2002.

تدور مواضيع الأطروحات التي أُنجزت في وحدتي "المغرب والعالم العربي الإسلامي 1500-1900" و"المتوسط والعالم الإسلامي 1500-2000" حول محاور أساسية تعكس التوجهات التي وضعها فريق البحث أساساً، وتسعى لتعطية بحثية للدواوين الثلاث: الدائرة التركية العثمانية، والدائرة الإيرانية، والدائرة المغاربية.

المحور الأول، الأطروحات التي غطت الدائرة التركية العثمانية، ونشير هنا إلى أطروحتين: الأولى تتعلق بـ"النخبة المثقفة وأزمة السلطة في البلاد الإسلامية بين القرنين السادس عشر والثامن عشر: مقارنة بين المغرب والدولة العثمانية"<sup>(22)</sup>. وقد اختار الباحث مقاومة المقارنة بين مجالين إسلاميين مختلفين من خلال البحث في المسارات والتصورات للمشاريع الإصلاحية لدى النخب، واستند في ذلك إلى النصوص المغربية والعثمانية، ولا سيما تلك التي تُدرج في إطار كتب النصيحة، كما استند إلى كم هائل من الدراسات التي تناولت أزمات السلطة في البلاد الإسلامية بلغات مختلفة (عربية وفرنسية وإنكليزية وتركية). ويبدو أن الجهد الذي بذله الباحث على مستوى دراسة الأزمات العثمانية كان أكثر وضوحاً مما نلاحظه على المستوى المغربي. أما الأطروحة الثانية في هذا المحور، فتلقت التي تناول فيها محمد العواد "السياسة الفرنسية تجاه العالم الإسلامي خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر: الدولة العثمانية والمغرب نموذجاً"<sup>(23)</sup>، باحثاً في جذور السياسة الاستعمارية الفرنسية. وقد انطلق فيها من فرضية أن السياسات الأجنبية لم تكن ذات منحى واحد، وتميزت بعض الخصوصيات التي أدت التطورات الداخلية والصور النمطية دوراً كبيراً في رسم معالمها. وقد توقف الباحث عند تحقيب هذه السياسة وميّز بين حقبتين أساسيتين، شكل عام 1798 فارقاً أساسياً بينهما. وقد ركز الباحث على سياسة الامتيازات التي سعت لها فرنسا، مقارناً بين هذه السياسة في المغرب وفي الدولة العثمانية.

أما الأطروحة الثالثة، فهي التي حُصّصت للحرريم السلطاني، وتناولت فيها فاطمة الزهراء قدحي موضوع "نساء السلطان في البلاد الإسلامية: المغرب والدولة العثمانية نموذجاً"<sup>(24)</sup>. وقد سارت هذه الأطروحة أيضاً في اتجاه المقارنة بين الحرريم في البلاطين المغربي والعثماني، واللافت هنا هو أن هذه المقارنة سمحت للباحثة بإماتة اللثام عن الكثير من جوانب التاريخ المغربي؛ إذ توقفت عند مسألة باللغة الأهمية، هي أن النصوص القمينة بدراسة هذا الموضوع على المستوى الإسلامي نادرة جداً، ولا يسمح ما جاء في ثانيا المصادر الإسلامية من تتبع وضعية المرأة في التاريخ الإسلامي، سواء داخل أسوار البلاط أم خارجهما. وتُعد المصادر الأجنبية السبيل الوحيد لدراسة هذا الموضوع، ولا سيما نصوص الرحالة الأوروبيين، بيد أن هذه النصوص تطرح معضلة على مستوى استغلالها، ويتمثل الإشكال الأساسي في انطلاقها مما اختزنتهذاكرة من مرويات وامتلأت به من خيال. لقد اعتمد هؤلاء على ما بلغ مسامعهم، ومن الصورة التي تكونت لديهم حول البلاد الإسلامية حتى قبل أن تطأ أقدامهم أراضي البلاد الإسلامية.

استطاعت الباحثة قدحي، بعد عرض الكلمات المفتاحية لهذا الموضوع وتبعها لغوياً وأصطلاحياً، وتتبع جذور ظاهرة الحرريم في المجتمعات الإسلامية، أن تقدم إجابات عن مؤسسة الحرريم من خلال عرضها لنوعية النساء في البلاطين العثماني والمغربي، وعن الدور الذي قامت به حرريم السلطان في المغرب وفي الدولة العثمانية، سواء في زمن السلاطين الأقوباء، أم في أزمنة الأزمات السياسية.

22 عبد الحي الخليفي، "النخبة المثقفة وأزمة السلطة في البلاد الإسلامية بين القرنين السادس عشر والثامن عشر: مقارنة بين المغرب والدولة العثمانية"، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، 2011.

23 محمد العواد، "السياسة الفرنسية تجاه العالم الإسلامي خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، الدولة العثمانية والمغرب نموذجاً"، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، 2012.

24 فاطمة الزهراء قدحي، "نساء السلطان في البلاد الإسلامية المغرب والدولة العثمانية نموذجاً"، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، 2012.

المحور الثاني، يتعلق بإيران، فقد سجل التاريخ الإيراني، أول مرة، حضوره في البحث التاريخي<sup>(25)</sup> في الجامعة المغربية. وقد راوح هذا الحضور بين مواضع حُصّصت لتاريخ إيران، وأخرى كانت فيها المقارنة أدأً للكشف عن جوانب من هذا التاريخ، وثالثة همت العلاقات بين إيران والدولة العثمانية. كانت أطروحة ليلي مبارك "القبيلة والدولة في إيران في العهدين الصفوي والقاجاري"<sup>(26)</sup> تُدرج في إطار سؤال أوسع، شمل العلاقة التي نسجتها الدولة بالمجتمع في العالم الإسلامي، وكانت الباحثة عندما تقوم بسبل أغوار هذا الموضوع، تستحضر تلك العلاقات المعقدة بين القبيلة والدولة في مختلف ربوع البلاد الإسلامية، وتستحضر كذلك الأعمال الأنثروبولوجية التي اتجهها باحثون غربيون، وانتهوا من خلالها إلى نظريات سعوا لتطبيقها على سائر المجتمعات الإسلامية.

لقد سمعت مبارك للإجابة عن أسئلة محلية: كيف ساهمت القبيلة في نشأة الدولة، وحالت دون مركزتها؟ وكيف عملت القبيلة على إسقاط الدولة القائمة وتشكيل دولة جديدة؟ وانتهت الإجابات إلى تأثير القبائل التركمانية في الحياة السياسية عندما تمكنت هذه القبائل من توحيد المجال الإيراني تحت سلطة سياسية واحدة، وعندما استطاعت هذه القبائل تغيير التشكيلة السكانية لهذا البلد ونمط العيش السائد فيه، من نمط عيش يعتمد على الاستقرار والزراعة، إلى مجتمع يعتمد على الترحال والرعى. وعلى مستوى آخر، أبرزت مبارك كيفية تأثير القبيلة في تبني المذهب الشيعي في إيران واصطفاف القبائل وراء الدولة لمحاربة المد العثماني فترةً طويلة. وأخيراً، أظهرت الباحثة كيفية مساهمة القبيلة في إسقاط الدول القائمة في إيران بين القرنين السادس عشر وبداية القرن العشرين، وأبرزت التراجع الواضح للقبيلة في الحياة السياسية بعد تعنيفها من الجهاز المركزي، ومن ثم فتح الباب على مصراعيه لعاصفة جديدة تسهيلاً في تشكيل الكيانات السياسية منذ عشرينيات القرن العشرين.

أما الصنف الثاني من الأطروحات التي همت إيران، فهو تلك الأطروحات التي جرت فيها المقارنة بتركيا، من ضمنها كانت الأطروحة التي أعدّتها الباحثة المتّألفة سعاد بنعلي في موضوع "التحديث وإشكاليات الهوية في العالم الإسلامي: دراسة مقارنة بين إيران وتركيا الجمهورية"<sup>(27)</sup>. ولسبر أغوار هذا الموضوع، انطلقت الباحثة من طرح أسئلة منهجية أساسية، لخّصتها في سته: كيف استجابت إيران وتركيا للمؤثرات الخارجية الناتجة من لحظة الاصطدام بالغرب؟ هل كانت الإصلاحات كافية لإنقاذ الإيرانيين والعثمانيين من حالة الضعف؟ ما مدى تأثير الإصلاحات في هوية الدولة والمجتمع المؤطرتين بالإسلام؟ كيف بُنيت الدولة الحديثة في زمن كمال ورضا شاه؟ ما الخطوط العريضة لهوية الوطن والمواطن الجديدين؟ هل يعتبر البناء من فوق أداة فعالة لبناء الهوية؟ لقد وفّقت الباحثة في الإجابة عن معظم هذه الأسئلة وفضّلت في بعضها بأجوية مقنعة تعتمد أسلوب المحاجة، وقد وضعت الاحتياطات المنهجية كلها في المقدمة التي خصّصتها للوقوف عند المفاهيم والمقاربـات التي استعملتها. واستحضرت أربعة عناصر، اعتبرتها بمنزلة أعمدة أساسية في المشروعين التحدييين الإيراني والتركي في صوغ معايير هوية وطنية من شأنها نقل البلدين إلى مصاف الدول الحديثة، ويتعلق الأمر بالقومية وإعادة كتابة التاريخ والإصلاح اللغوي، ثم اللباس باعتباره مظهراً من المظاهر المعتبرة عن الهوية الجديدة للمواطن. وانتهت الباحثة إلى أن تتبع هوية الأتراك والإيرانيين منذ الإصلاحات، أظهر الأسلوب الفوقي للتحديث وتعقد البنية الثقافية، وهذا عاملان أسهما في تأرجح الهوية بين التحديث على النمط الغربي ومحاولات الإحياء الديني، فضلاً عن أن العد القومي لم يلغ العديد من الإشكاليات المرتبطة بالتعديدية العرقية.

<sup>25</sup> هذا على الرغم من حضوره في الدراسات الأدبية بأعمال مميزة لباحثين من أمثال محمد بن تاویت الطنجي وأحمد السعدي ومحمد الوزی وحسن المازوني وفؤاد ساعدة وأحمد موسى.

<sup>26</sup> ليلي مبارك، "القبيلة والدولة في إيران من العهد الصفوي إلى العهد القاجاري"، أطروحة دكتوراه، جامعة محمد الخامس، الرباط، 2019.

<sup>27</sup> سعاد بنعلي، "التحديث وإشكاليات الهوية الوطنية في العالم الإسلامي: دراسة مقارنة لتركيا (1839-1848) وإيران (1939-1941)", أطروحة دكتوراه، جامعة محمد الخامس، الرباط، 2018.

يتناول الصنف الثالث العلاقات بين إيران والدولة العثمانية، وقد خص عبد الصمد الأشهب<sup>(28)</sup> أطروحته للعلاقات الصوفية - العثمانية، حيث يتوقف فيها عند أطوار هذه العلاقات والخلفيات التي كانت وراء الصدامات العسكرية المتواترة وكيفية اللجوء إلى وقفها عن طريق وضع هذه العلاقات في سياقها الدولي. فهل تمكّن الباحث من تقديم جديد في هذا الموضوع؟ ولا سيما أن الموضوع نفسه كان قد حظي بدراسة مفصلة قام بها جان لويس باكي كرامون<sup>(29)</sup>.

المحور الثالث يتعلق بالمغارب، ويمكن أن نُميّز فيه بين ثلاثة مجالات، الأول يرتبط بالتاريخ العلاقي بين الدولة العثمانية والمغرب من زوايا مختلفة، ويمكن أن أذكر في هذا الباب ما أنجزه عزيز أوكادير عن "العلاقات المغربية - العثمانية ومسألة الخلافة"<sup>(30)</sup>، ويُدرج هذا العمل في إطار العلاقات الإسلامية - الإسلامية واتخاذ مسألة الخلافة حجر زاوية في طرحة، وما يتفرّع عن هذا الموضوع من قضايا ترتبط بمسألة الشرف، ويعالج مسألة الحدود التي تتنافى واقتناع الطرفين بالخلافة باعتبارها آلية لتدبير علاقتهما.

أما المجال الثاني، فهو المتعلق بتبني قضية عابرة للتاريخ المغارب في علاقته بأوروبا من خلال موضوع الأسرى في المغارب. إن موضوع أسرى الضفة الجنوبيّة<sup>(31)</sup> الذي حضرت فيه الباحثة وفاء المصمودي نفسها، يُعتبر من المواضيع المهمة التي تحتاج إلى مزيد من الدرس والتحليل، على الرغم من أن عدداً من الباحثين كان قد تناولوه بأشكال مختلفة. فهو موضوع مهم لاعتبارات شتى، بيّنتها الباحثة على نحو جلي في أطروحتها، فهو من جهة مدخل أساسي لدراسة التطورات في العلاقات بين ضفتى المتوسط، لأنّه شكّل محوراً أساسياً في هذه العلاقات، حيث استعملت ورقة الأسرى لتحقيق أغراض سياسية، سواء من هذا الطرف أم ذاك. ومن جهة أخرى، كان أدأة لدراسة التاريخ الاقتصادي للبلدان المغاربية؛ إذ أدى الأسرى دوراً بارزاً في اقتصادات المنطقة، ولا أدّل على ذلك من الدور الذي قاموا به في المغرب في تطوير فلاحة قصب السكر وصناعة السفن والأسلحة في العصر السعدي.

وُفّقت الباحثة إلى حدٍ بعيد في دراسة الموضوع من خلال المحورين السابقين، وكان التوفيق حليفها بفضل قدرتها على:

أولاً، الإمام بغالية ما كُتب في الموضوع، فقد استطاعت أن تحيط بمعظم ما أُنتج في الموضوع باللغتين العربية والفرنسية، إن على مستوى المصادر أو الدراسات، واستطاعت أن تعرّفنا بالعديد من الدراسات الغميسة التي لم تجد بعد طريقها إلى النشر، خاصة عندما يتعلق الأمر بالجزائر، حيث اعتمدت على رسائل وأطروحتات حديثة، مثل الرسالة التي أعدّها بومدين دباب عن الأسرى والسجون في مدينة الجزائر بين عامي 1519 و1830.

ثانياً، استطاعت الباحثة استثمار النصوص الأصلية التي عادت إليها، إذ استندت دراستها إلى نصوص متعددة، تراوح ما بين مذكريات الأسرى التي عدّتها في صدارة المادة المصدرية، باعتبارها ترسم صورة حيّة لواقع الأسر، إلى مؤلفات الرهبان الفدائية، وتقارير السفراء، ورأى في هذه التقارير نصوصاً دقيقة وخلالية من المبالغات التي تتميّز بها كتابات الأسرى أنفسهم، إلى نصوص المعاهدات المتعلقة بالافتداء، التي عكست حجم ظاهرة الأسر في العلاقات المغاربية - الأوروبيّة. وعلاوة على ذلك، لجأت الباحثة

28 عبد الصمد الأشهب، "العلاقات الصوفية - العثمانية في القرن السادس عشر"، أطروحة دكتوراه، جامعة محمد الخامس، الرباط، 2019.

29 Jean Louis Bacqué-Grammont, *Les Ottomans, les Safavides et leurs voisins: Contribution à l'histoire des relations internationales dans l'orient islamique De 1514 à 1524* (Istanbul: Publications de l'Institut historique et archéologique néerlandais de Stamboul, 1987).

30 عزيز أوكادير، "العلاقات المغربية - العثمانية ومسألة الخلافة"، أطروحة دكتوراه، جامعة محمد الخامس، الرباط، 2013.

31 وفاء المصمودي، "الأسرى الأوروبيون في المغرب ما بين القرنين 16 و18 دراسة مقارنة بين المغرب والولايات العثمانية"، أطروحة دكتوراه، جامعة محمد الخامس، الرباط، 2020.

إلى الصحافة المعاصرة، خاصة جريدة *La Gazette de France*<sup>(32)</sup> التي تضمنت العديد من المقالات التي تهمّ مسألة الأمن في البحار، ومن ثمة ظاهرة الأسر.

كانت المصمودي واعية بالقضايا الأساسية التالية في ما يتعلّق بمادة البحث: كانت واعية بالثغرة التي يمكن أن يُخلفها عدم اطلاعها على الوثائق في أرشيفي تركيا والجزائر اللذين لم تُتّح لها فرصة الاطلاع على محتوياتها. وأعتقد أن هذا الأمر يدخل في باب التوجّس ليس إلّا، على اعتبار أن هذه الأرشيفات لا تتضمّن أشياء جديرة بالاهتمام، ويبقى موضوع الأسرى أوروبياً بامتياز، ومن ثمّ مادته أوروبية. فالدراسة التي قام بها خيري غوكشن أوزكوراي في موضوع "العبودية في الدولة العثمانية: الأسس القانونية وتمثّلات الواقع الاقتصادي والاجتماعي"<sup>(33)</sup>، تُبيّن ذلك بكل جلاء عندما يعرض الدراسات التي تناولت العبيد، سواء في فرنسا، مثل الدراسات التي أنجزها نيكولاوس فاتان Nicolas Vatin، أم في تركيا، مثل الدراسات التي أنجزها خليل إينالجيك، أم تلك التي أنجزت في هنغاريا تحت إشراف الباحثين غيزا ديفيد Géza Déavid وبالفودور Pál Fodor، إذ إن كلها اعتمدت على نصوص أوروبية، باشتئام حالات محدودة اعتمدت على سجلات المحاكم الشرعية.

وظّفت الباحثة في سبيل الإجابة عن مجموعة من الأسئلة التي وضعتها في مقدمة البحث أسلوبين في الكتابة: الكيفي والكمي. ويهمني في هذا الباب أن أشير إلى جسارتها وشجاعتها في مقاولة الموضوع كمياً. لا يمكن أن نقول إن الباحث في التاريخ الاقتصادي عندما يستعمل إحصاءات وأرقاماً أنه يتبنّى المنهج الكمي، فهو يستخدم الإحصاء لدعم وجهة نظره، لإثبات ما يقوله. أما مؤخّ المجالات البحثية الأخرى، فمنحه مختلفاً، فهو عندما ينجز الأسلوب الكمي، ويسجل مجموعة من البيانات الإحصائية، فذلك يكون بهدف معرفة الترابط الذي يمكن أن يكون بينهما، ويستخدم المزيد من البيانات الإحصائية ليتمكن من ربط بعضها البعض؛ وهذا يسمح له بتطوير نماذج تستدعي أنواعاً مختلفة من الإحصاءات وتتوفر معلومات حول ظاهرة معينة. وقد برهنت الباحثة على قدرتها على الإمساك بمقاربة طواهر تاريخ الأسر كمياً عندما تعرضت لملكية الأسر في الفصل الثاني، وتصنيف الأسرى في الفصل الثالث، وعندما تعرّضت لأسعار افتداء الأسرى في الفصل الرابع. وكانت الباحثة واعية بالصعوبات التي تواجه مستعمل الرقم في الكتابات التاريخية ووضعت الاحترازات كلها ونبّهت إليها كلما همّت بتكميم التاريخ.

أما المجال الثالث، فيتعلّق بالصورة التي كونّها المغاربة عن المشرق الإسلامي من خلال الكتابات الرحيلية، وفي هذا الباب قدمت فتاحة المسعودي أطروحة في موضوع "أزمة الهوية وإشكالية التحديث: دراسة مقارنة لصورة الشرق والغرب في الرحلات المغاربية"، وناقشت المهدى الغالي أطروحة قدّم فيها نص رحلة الناصري بعنوان "الرحلة الناصرية لأحمد بن عبد السلام الناصري 1823/1239: دراسة وتحقيق".

طرحت المسعودي أسئلة جديدة على متون الرحلات المغاربية إلى أوروبا والدولة العثمانية، ولتحصتها في سؤالين محوريين: كيف قاربت الفتاة العالمية المغاربية بين هويتها واقتباس مقومات النهضة الأوروبيّة مباشرةً من أوروبا، أو عن طريق الدولة العثمانية؟

<sup>32</sup> هي أول صحفة فرنسية. صدر العدد الأول منها، تحت عنوان *La Gazette* في عام 1631، بوساطة تيوفراست رينودو Théophraste Renaudot، بإذن من Richelieu، وكانت تعتبر بمثابة المشبور الوحيد الذي يمكنه نقل الأخبار علناً من الخارج. في البداية، كانت الصحيفة أسبوعية، واستمر الوضع على هذه الحال حتى عام 1792 عندما اتحد القرار بأن تصبح يومية، ومنذ ذلك الحين استمر إصدارها بأسماء مختلفة، إلى أن استقرت على تسميتها *La Gazette de France* بين عامي 1848 و1915. ينظر:

Gilles Feyel, "Aux origines de l'éthique des journalistes: Théophraste Renaudot et ses premiers discours éditoriaux (1631-1633)," *Le Temps des médias*, no. 1 (2003), pp. 175-189.

<sup>33</sup> Hayri Gökşin Özkoray, "L'esclavage dans l'Empire ottoman (XVIIe-XVIIIe s.)," Thèse de Doctorat, Soutenue sous la direction de Nicolas Vatin, à la IVe section de l'École Pratique des Hautes Études, 2017.

وكيف حاول دعوة الإصلاح المغاربة معالجة عَطَب الدولة المخزنية اعتماداً على النموذج الأوروبي والعثماني؟ وفي سبيل الإجابة عن هذه الأسئلة، عملت الباحثة على استقراء نصوص مجموعة من الرحلات المغربية إلى أوروبا وإلى المشرق الإسلامي. وقد ربطت بين هذه النصوص واستلهام المغرب التجارب التحديدية، عثمانية كانت أم أوروبية، مسجلة أن هذا الاستلهام وقفت في وجهه عوامل عددة، لعل أهمها مسألة غياب "السفير الدائم" والاكتفاء بإيفاد مبعوثين فترة زمنية محدودة لم تمكّنهم من استيعاب ما دُهشوا به من جهة، والقضايا المتعلقة بذهنية الرحالة والمتمثلة في امتناعه عن مخالطة المسيحيين وتحرّجهم في الحديث عن أمور يشير الخوض فيها الشعور الديني من جهة ثانية، وصعوبة محاجرة الأوروبيين بسبب عائق اللغة من جهة ثالثة.

في إطار أوسع من هذا، عرضت أطروحة أخرى لموضوع ذي راهنية كبرى، ويتعلق الأمر بالعمل الذي قدّمه للمناقشة في عام 2012 محمد بن صالح، في موضوع "العالم الإسلامي والغرب خلال العصور الحديثة: بين تواصل الثقافات وصدام الحضارات". وقد نقشت هذه الأطروحة موضوع التواصل بين الثقافات بين نهاية القرن الخامس عشر وبداية الألفية الثالثة، ويرى الباحث أن هذا الموضوع أخذ بلّت العديد من الباحثين في الجامعات الغربية، ولا سيما بعد أحداث 11 سبتمبر 2001. وقد تناول بالبحث والتحليل نظرية صدام الحضارات وعرض في مقابلتها نظرية بناء الثقافات التي تسعى لإعادة بناء العلاقات بين الشعوب على أساس المعرفة والاعتراف والتواصل. وللن غاصلت هذه الأطروحة في قضايا نظرية تخص النظريات التي تكونت في الأدبيات الأجنبية عن العلاقة بين العالم الإسلامي والمسيحي، فإنها استحضرت بعض المحطات التاريخية وفصلت في بعض الواقع التي تدعم أطروحة بناء الثقافات التي يدافع عنها الباحث.

استقطبت الوحدات الثلاث طلاباً من المشرق العربي وتركيا، وجرى توجيههم إلى البحث في مواضيع تهم المجال العثماني، ومن ذلك مثلاً البحث في "تاريخ الجهاد الليبي" الذي حضره محمد الطوير، وبحث "الأوضاع الاقتصادية في ولاية طرابلس الغرب في العهد العثماني الثاني من 1520 إلى 1835" الذي أنجزه محمد عبد الله الخباط، وبحث "الحملات العثمانية على اليمن 1571-1571". ولأن الوحدات وضعت تاريخ الحواضر الإسلامية ضمن اهتماماتها الأولى، فقد ناقش وليد إبراهيم أطروحة عن "المدينة الإسلامية: صناعة نموذجاً (مقاربات تاريخية وعممارية)". ولعل ما يستوقف قارئ هذه الأطروحات الثلاث هو مدى التأثر بالمقارنة المغاربية لتاريخ الدولة العثمانية، المتمثلة في ترك أحكام القيمة والصور النمطية التي ميزت معظم الأبحاث العربية حول الدولة العثمانية، جانباً، ومعالجة المواضيع انطلاقاً من نظرة فاحصة إلى الوثائق والمصادر، مع عدم إغفال النصوص العثمانية. ويمكن القول إن هذه الأطروحات الثلاث نجحت في تحقيق هاتين الغايتين، وتمكنّت من تقديم مراجعة للأحكام التي تكونت عن الدولة العثمانية في الأبحاث الجامعية العربية.

أما الأطروحة الرابعة التي قدّمها غير المغاربة في هذه الوحدات، فتعلق بالعلاقات العثمانية - المغاربية في القرن التاسع عشر. جاءت أطروحة غوكخان يشيلمان Gökhan Yeşilman<sup>(34)</sup> لتسوוג الأعمال التي سبقت الإشارة إليها، والتي ترصد جوانب مختلفة من العلاقات العثمانية - المغاربية بين القرنين السادس عشر والثامن عشر. وقد اعتمدت الأطروحة في الأساس على وثائق الأرشيف العثماني، فبيّنت ما جرى الاستغلال عليه من الناحية الكمية، حيث أشارت إلى كشفها عمّا مجموعه 1595 وثيقة، تعود إلى القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين. وتبرز واحدة من المعضلات الأساسية التي تواجه المشتغل في الأرشيف العثماني، والمتمثلة في أن أكثر هذه الوثائق مكرر، ومن ذلك مثلاً "عروضة حول مسألة قانونية تخص مواطناً عثمانياً كان يعيش في المغرب"؛ فهذه العريضة مكررة بسبب عرضها على جهات مختلفة في الدولة العثمانية، فقد أرسلت إلى السفارة العثمانية في إسبانيا، وجرى إرسال نسخة منها أيضاً إلى وزارة الخارجية،

<sup>34</sup> غوكخان يشيلمان، "العلاقات العثمانية - المغاربية في القرن التاسع عشر"، أطروحة دكتوراه، جامعة محمد الخامس، الرباط، 2020.

وأخرى إلى مقر الاستشارات القانونية، وواحدة إلى مقر الصدارة، وكان الرد الصادر عنها يتخذ أيضًا الطريق نفسه؛ ما يعني أن الموضوع الواحد في عرضه والرد عليه قد تختلف فيه وثائق متعددة بالمحتوى نفسه، ويعود هذا إلى تعقيدات البيروقراطية العثمانية. والنتيجة هي أن المؤرخ يعتقد أنه حصل على وثائق وفيرة، لكن، في هذه الحالة، لا يحصل إلا على ثلث الرقم الذي ذكر آنفًا.

إضافةً إلى وثائق الأرشيف العثماني، اعتمد الباحث ما كانت تنشره الصحف العثمانية، والصحف التي نُشرت في العاصمة العثمانية وفي ولايات مختلفة. ويمكّن الاطلاع على الصحافة العثمانية من الوقوف عند مصادر الخبر عن المغرب في العاصمة العثمانية إسطنبول، كما يُمكّن من الوقوف على مسألة على درجة كبيرة من الأهمية، وتتعلق بالكشف ولو جزئياً عن وجهة نظر المجتمع العثماني حول علاقات الدولتين، وكيف تشَكَّل الرأي العام العثماني حول المغرب.

يبدو من خلال هذه الأطروحات أن الأهداف التي سُطرت في البداية عند إحداث وحدة التكوين والبحث، تحققت إلى حد بعيد، فقد انتهت كلها إلى القضايا التي جرى تسطيرها:

أولاً، يمكن القول إن هذه الأطروحات ساهمت مساهمة فاعلة في تجنب القوقة (وقوعة البحث التاريخي في المغرب) على المجال المغربي، ومكّنت من ثمّ من مغادرة ما يُسميه عبد الحميد هنية "السجون المعرفية"<sup>35</sup>. لقد تمكّن العديد من هذه الأبحاث من إدارة الظاهر للمحلية.

لم تتميز هذه الأبحاث، على الرغم من أنها تشَكَّل باكورة الدراسات التاريخية الجامعية الأولى في المغرب، بالسطحية وغياب العمق وقلة الدقة، بل نجدها في الكثير من الأحيان تصاهي ما جرى إنجازه في جامعات تركية وأجنبية، وتناقش قضايا دقيقة، وتقدم نتائج الأبحاث الحديثة في الموضوع، مثلما هو الأمر بالنسبة إلى موضوع الهوية في إيران وتركيا، وأيضاً بالنسبة إلى الدولة والقبيلة في إيران، والنخبة والأزمة في الدولة العثمانية.

لقد أسهمت هذه الأبحاث في الانفتاح على المجالين الإيرلناني والعثماني، ومكّنت الباحث المغربي من الإطالة على ما كان يدور في عالم آخر، وأسهمت أيضًا في تجديد النظرة إلى تاريخ هذه العالم التي تشَكَّل لدينا عنها أحكام انطباعية في السابق. وقد مكّن الانفتاح على هذه العالم من الاطلاع على أحد الدراسات الجادة في مجالات قد تهمّ المغرب. ولا شك في أن العمل على علاقة الدولة بالقبيلة في إيران سيسعف كثيراً في فهم العديد من الظواهر المتعلقة بعلاقة هاتين البنيتين في المجالات المغاربية. ومن نافلة القول إن العمل على هذه المجالات التي تبدو أول وهلة مختلفة عن المجال المغربي، سيمكّن من تجديد أسئلتنا وطرقنا مقاربتنا للعديد من الظواهر.

ثانياً، كان هم المادة الأرشيفية حاضراً في الدراسات كلها، وإن بدرجات متفاوتة، فقد جعل يشيلمان قوة بحثه في الاعتماد على مخزون الأرشيف العثماني، وتدارك عبد الحي الخيلي عدم العودة إلى أرشيفات الدولة العثمانية باستعمال الأرشيف التونسي، وتحسّرت وفاء المصمودي عن عدم تمكّنها من استعمال الأرشيف العثماني في القضايا المتعلقة بالأسرى. وعلى مستوى آخر، استطاعت غالبية هذه الدراسات أن تقطع مسافة في استعمال الأرشيف، وتتبّعه إلى الكثير من المشكلات التي تحيط باستعمال الأرشيفات، ولا سيما الأرشيف العثماني.

ثالثاً، أهمية مقاربة المقارنة، وأعتقد أن هذا الأمر تحقق علينا في العديد من الدراسات، وعلى نحو مبطن في بعضها الآخر. فعلينا، عندما أفصحت في عناوينها عن هذه المقاربة، مثلما هو الأمر بالنسبة إلى دراسة محمد الحمير وأمينة المسعودي وسعاد بنعلي.

<sup>35</sup> عبد الحميد هنية، "المؤرخ العربي ومصادره"، *أسطور*، مجل 5، العدد 10 (تموز / يوليو 2019)، ص 232-245.

وكانت مبطنة حاضرة في المتن عندما تعلق الأمر بموضوع القبيلة والدولة في إيران. لقد كانت المقارنات بين المجال المغربي والمجال الإيرلندي معلنة عن نفسها على نحو أو آخر. ولعل ما شجّع على اعتماد مقاربة المقارنة هو انتماء المجالات المقارنة بينها إلى المنظومة الدينية والثقافية نفسها، وإن اختللت مذهبياً، ومن ثم كان من الضروري أن تحضر على نحو مبطن أو علني، ولها ما يبررها منهجهما.

تبين الإشارة في هذا الباب أيضاً إلى أن المقاربة المقارنة في هذه البحوث تجاوزت شكلها الكلاسيكي المتمثل في الوقوف عند التشابهات والاختلافات بعد عرض كل مجال على حدة، إلى المقاربة التحليلية التي تتبع الاختلافات والتباينات أولاً بأول، ومن ثم تساهمن في تجاوز التعميمات، وجاز لنا أن ننعتها بـ "المقارنة المجهريّة".

رابعاً، وهي مرتبطة بالخلاصة السابقة، لأن المقاربة المقارنة تؤدي حتماً إلى الانفتاح على العلوم الأخرى كل بحسب موضوعه. لقد فتحت هذه المقاربة الباب على مصريعيه لاحتکاك النظريات المتعلقة مثلاً بالهويات والتشكل القبلي، وقد وجد الباحثون ضالّتهم المنشودة في العديد من الأعمال الأنثروبولوجية التي اعتمدت المنهج نفسه، مثلما هو الأمر عند كليفورد غيرتز وديل إيلمان وإرنست غيلنر Ernest Gellner وغيرهم.

خامسًا، أثارت هذه البحوث قضايا إشكالية راهنة، مثل قضية الهوية وبناء الدولة الوطنية، كما استحضرت الدراسات النظرية التي أُنجزت حول موضوع الهوية وبناء الدولة الوطنية، من قبيل الأعمال التي أُنجزها بندكت أندرسن Benedict Anderson وغيلنر.

## خلاصات

تمكّنت وحدات التكوين والبحث التي تخصصت في الدراسات العثمانية والإيرانية أن تعطي نفساً لحقل بحثي جديد في الدراسات التاريخية المغربية، وتمكنّت من المساهمة أيضاً في إخراج البحث التاريخي المغربي من قوقعته وفتحه على مجالات جغرافية أرحب، ولا شك في أن هذا الانفتاح ليس افتتاحاً لذاته، لكنه يساهم أيضاً في إلقاء إضاءات جديدة على الكثير من ظواهر تاريخ المغرب وأحداثه. إن قراءة العلاقات العثمانية - الإيرانية يفيد كثيراً في فهم الكثير من جوانب هذه العلاقات، وتبقى أسئلة الإصلاح، ولا سيما الإصلاح العسكري في المغرب، قاصرة ما لم يجرِ الانفتاح على دراسة الإصلاح العثماني في مراحله كلها.

كان من الطبيعي أن تتأخر في جني ثمار هذه التجربة لأسباب ترتبط بالإمكانيات التي توفرها الجامعة لإنجاح مثل هذه التجارب، لكن كما يقول الفرنسيون Vaut mieux tard que jamais (أن تأتي متأخراً أفضل من لا تأتي نهائياً). لقد تمكّن فريق الوحدات، من خلال نكران الذات، من أن يحقق بعض أهدافه، ويعوّل على من التحق بالجامعة من هؤلاء الباحثين في إحياء هذا الحقل الجديد. وقد بدأت فعلاً تباشير هذه العودة في أفق ضمان الاستمرارية مع توظيف متخصصين في هذا الحقل واستمرارهم في الإشراف على رسائل وأطروحة تتعلق بالشخص، مثلما هو الأمر بالنسبة إلى الأطروحة التي أعدّها الباحث الشاب محمد غاشي في موضوع "السياسة الخارجية الألمانية تجاه العالم الإسلامي".

هل جرى تعميق البحث في هذا الحقل الجديد؟ ستكون إجابتي عن هذا السؤال عبارة عن انطباعات، تؤسس على ملاحظات سجلتها وأنا أرصد ما نشره خريجو هذه الوحدات من أبحاث بعد الأطروحة، سواء في أعمال ندوات أم في كتب جماعية أو فردية:

الأولى، الغياب التام لبعض الباحثين الذين تخرجوا في هذا الحقل البحثي، وربما يعود ذلك إلى العديد من العوامل، لعل أهمها عدم التحاق عدد منهم بالجامعات المغربية، فعلى الرغم من تألق العديد منهم على مستوى إنجاز الأطروحة، فإنهم لم يستطيعوا الظفر بمنصب في الجامعة.

الثانية، الإنتاج البحثي يقيّد بـ"الأعمال التي أنجزوها في مستوى الدكتوراه، فالعديد منهم لم يستطع قطع "الحبل السري" مع موضوع الأطروحة. Cordon ombilical

الثالثة، تتمثل في عودة بعضهم إلى طرح مواضيع مطروقة تخص العلاقات المغربية - العثمانية، وهو ما لم يفض في النهاية سوى إلى إعادة اجتذار ما ورد في الأبحاث السابقة عن تاريخ هذه العلاقات.



## المراجع

### العربية

- الأشهب، عبد الصمد. "العلاقات الصوفية - العثمانية في القرن السادس عشر". أطروحة دكتوراه. جامعة محمد الخامس. الرباط. 2019.
- أوكادير، عزيز. "العلاقات المغربية - العثمانية ومسألة الخلافة". أطروحة دكتوراه. جامعة محمد الخامس. الرباط. 2013.
- بنحادة، عبد الرحيم. **المغرب والباب العالي من منتصف القرن السادس عشر إلى نهاية القرن الثامن عشر**. زغوان، تونس: مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، 1998.
- \_\_\_\_\_. "في تحقيق تدريس التاريخ في الجامعة المغربية". **أسطور**. مج 3، العدد 5 (كانون الثاني / يناير 2017).
- بنعلي، سعاد. "التحديث وإشكالات الهوية الوطنية في العالم الإسلامي: دراسة مقارنة لتركيا (1839-1939) وإيران (1941-1948)". أطروحة دكتوراه. جامعة محمد الخامس. الرباط. 2018.
- الحimer، محمد. "الجيش الدخيل في الدول الإسلامية: جيش العبيد وإنكشارية العثمانية، محاولة في المقارنة". أطروحة لنيل درجة الدكتوراه الوطنية في التاريخ. كلية الآداب والعلوم الإنسانية. الرباط. 2002.
- الخداري، محمد. "دور الزوايا والطرق الصوفية في العلاقات بين المغرب وولاية الجزائر: حالة الزاوية الدرقاوية من 1786 إلى 1823". أطروحة دكتوراه. كلية الآداب والعلوم الإنسانية. الرباط. 2002.
- الخيلي، عبد الحي. "النخبة المثقفة وأزمة السلطة في البلاد الإسلامية بين القرنين السادس عشر والثامن عشر: مقارنة بين المغرب والدولة العثمانية". أطروحة دكتوراه. كلية الآداب والعلوم الإنسانية. جامعة محمد الخامس. الرباط. 2011.
- زمامه، عبد القادر. "مع أبي الحسن التمكروتي في رحلته إلى القسطنطينية". **المناهل**. العدد 25 (1982).
- الطباطي، عبد الحفيظ. "العلاقات المغربية - العثمانية خلال القرن السادس عشر". رسالة أعدت لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ. جامعة محمد الخامس. الرباط. 1989.
- العواد، محمد. "السياسة الفرنسية تجاه العالم الإسلامي خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر: الدولة العثمانية والمغرب نموذجاً". أطروحة دكتوراه. كلية الآداب والعلوم الإنسانية. جامعة محمد الخامس. الرباط. 2012.
- قديحي، فاطمة الزهراء. "نساء السلطان في البلاد الإسلامية المغرب والدولة العثمانية نموذجاً". أطروحة دكتوراه. كلية الآداب والعلوم الإنسانية. جامعة محمد الخامس. الرباط. 2012.
- مبارك، ليلى. "القبيلة والدولة في إيران: من العهد الصوفي إلى العهد القاجاري". أطروحة دكتوراه. جامعة محمد الخامس. الرباط. 2019.
- مزین، محمد ویوان لیب رزق. **العلاقات المغربية - المصرية من مطلع العصر الحديث إلى سنة 1912**. الدار البيضاء: دار النشر المغربية، 1982.
- \_\_\_\_\_. "الخطاب التاريخي في العلاقات المغربية - العثمانية". **المجلة التاريخية المغاربية**. العدد 35-36 (1984).
- المصمودي، وفاء. "الأسرى الأوروبيون في المغرب ما بين القرنين 16 و18: دراسة مقارنة بين المغرب والولايات العثمانية". أطروحة دكتوراه. جامعة محمد الخامس. الرباط. 2020.

المودن، عبد الرحمن وعبد الرحيم بنحادة. **العثمانيون والعالم المتوسطي: مقاربات جديدة.** الرباط: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 2003.

. **السفر في العالم العربي الإسلامي: التواصل والحداثة.** الرباط: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 2004.

. **العثمانيون في المغرب من خلال الأرشيفات المحلية والمتوسطية.** الرباط: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 2005.

المودن، عبد الرحمن وعبد الرحيم بنحادة وعبد الحميد هنية (تسليق). **الكتابة التاريخية في المغرب: الهوية والذاكرة والإسطغرافية.** الرباط: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 2007.

هنية، عبد الحميد. "المؤرخ العربي ومصادرها". **أسطور. مج 5، العدد 10 (تموز / يوليو 2019).**

يشيلمان، غوكخان. "العلاقات العثمانية - المغربية في القرن التاسع عشر". أطروحة دكتوراه. جامعة محمد الخامس. الرباط. 2020.

## الأجنبيّة

Bacqué-Grammont, Jean Louis. *Les Ottomans, les Safavides et leurs voisins: Contribution à l'histoire des relations internationales dans l'orient islamique De 1514 à 1524.* Istanbul: Publications de l'Institut historique et archéologique néerlandais de Stamboul, 1987.

Bounite, Khadija. "Contribution à l'étude des relations maroco-ottomanes durant la seconde moitié du XVIIIème siècle: Tentative et déroulement d'une coopération entre Fès et Istanbul." Thèse de doctorat en Histoire. Paris I Université, 1995.

El Moudden, Abderrahmane. *Sharif and Padishah, Moroccan-Ottoman Relations from the 16th Through the 18th Centuries: Contribution to the Study of a Diplomatic Culture.* Princeton: Princeton University Press, 1992.

El Moudden, Abderrahmane, Abdelhamid Henia & Abderrahim Benhadda (eds.). *Ecriture de l'Histoire du Maghreb: Identité, mémoire et historiographie.* Série Colloques et séminaires 138. Rabat: Publications de la Faculté des Lettres et des Sciences Humaines, 2007.

Feyel, Gilles. "Aux origines de l'éthique des journalistes: Théophraste Renaudot et ses premiers discours éditoriaux (1631-1633)." *Le Temps des médias.* no. 1 (2003).

Ghachi, Mustapha. "Les voyageurs français et l'empire ottoman." Thèse de doctorat de 3<sup>ème</sup> cycle. Université de Pau et des pays de l'Adour. 1994.

Özkoray, Hayri Göksin. "L'esclavage dans l'Empire ottoman (XVIe-XVIIe s.)." Thèse de Doctorat. soutenue sous la direction de Nicolas Vatin à la IVe. Section de l'École Pratique des Hautes Études. 2017.